الفصل السادس

الاعلام العربى الدولى

هل للعرب اعلام دولى ؟

قد يبدو السؤال غريبا للبعض ، خاصة أن هناك العديد من الجرائد اليومية العربية التى تطلق عليه نفسها « جريدة العرب الدولية » ، ويوجد ضعفها من المجلات العربية التى تُزيل اسمها بلقب « مجلة العرب الدولية » ، ولكل دولة عربية ، وكالة انباء ، لها مكاتب ومراسلون فى العديد من عواصم العالم ، ويفترض ان ترسل وتستقبل مئات الأخبار العربية والدولية يوميا ، كما ان هناك العشرات من الاذاعات العربية الموجهة الى كافة انحاء العالم ، وبعضها يذيع بأكثر من ستة وثلاثين لغة !

وللعرب ايضا قمر للاتصالات ، اطلقوا عليه اسم « عربسات » ، وهو قادر على بث البرامج التليفزيونية العربية داخل العالم العربى وخارجه .

ورغم ذلك كله ، فلست متجاوزا للحقيقة عندما اقول ، انه لا يوجد اعلام عربى دولى !

- ١ -

الصحافة العربية الدولية

يمكن ان نميز بين خمس مجموعات من الصحف العربية التى تدعى لنفسها صفة « الدولية » ، وهى :

المجموعة الأولى : وهى صحف « الجاليات العربية » فى الخارج ، وهى تصدر باللغة العربية وتوزع بصفة أساسية على ابناء الجالية العربية فى البلد الذى تصدر فيه ، وهذه الصحف تنتشر أساسا فى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية واستراليا .

ومن النادر ان تسعى هذه الصحف إلى التوزيع خارج حدود البلد الذى تصدر فيه ، كما أن صدورها فى بلدان بعيدة عن العالم العربى حال بينها وبين التفكير فى التوزيع داخل الوطن العربى ، لذلك فإن اهتمام هذه الصحف يكاد أن ينحصر فى تغطية نشاطات ابناء الجالية العربية فى البلد الذى تصدر فيه ، بالاضافة الى نشر اخبار متفرقة عن العالم العربى .

المجموعة الثانية : الصحف العربية المهاجرة ، وهى تلك الصحف التى اضطرت الى الهجرة من الوطن العربى أو تلك التى اصدرها صحفيون مهاجرون من الوطن العربى ، وذلك بسبب افتقاد هذه الصحف واولئك الصحفيون لحرية التعبير داخل اقطارهم العربية ، واكثر هذه الصحف يصدر من لندن وباريس وبعض العواصم الأوربية الأخرى .

وظاهرة هجرة الصحافة العربية ، ظاهرة قديمة ، عرضتها الصحافة العربية فى فترة مبكرة من تاريخها ، فقد نشأت الصحافة فى عام ١٨٢٨م عندما صدرت جريدة « الوقائع المصرية » ، فى حين ان أول صحيفة عربية مهاجرة ، ظهرت فى عام ١٨٥٨م ، عندما أصدر رزق الله حسونه الحلبى صحيفة « مرآة الاحوال » فى الاستانة[1] ، عاصمة الدولة العثمانية ، أى بعد سبعة وعشرين عاما فقط من نشأة الصحافة العربية !

أما اغلب الصحف العربية المهاجرة فى الفترة الحاضرة ، فإن هجرتها تعود الى نشوب الحرب الأهلية اللبنانية فى عام ١٩٧٥م والتى مازالت بقاياها قائمة حتى الآن ، وكانت لبنان قد شهدت منذ نهاية الخمسينيات وحتى منتصف السبعينيات ، نهضة صحفية بسبب وجود قدر كبير من الحريات الصحفية ، وقد مكنت هذه الحريات الصحافة اللبنانية من أن تكون ساحة للحوار بين القوى والمنظمات والأنظمة العربية ، حيث اتيح لها التعبير عن افكارها وسياساتها ، بل وعن تناقضاتها ايضا ، وقد تم ذلك فى وقت لم يكن هناك فى الوطن العربى كله مكان غير لبنان قادر على أداء هذا الدور ، وقد حمى هذا الدور العالم العربى من ان تتحول صراعاته الفكرية والايديولوجية والسياسية الى عنف وصراع مسلح ، لذلك فإنه حين اجبرت الصحافة اللبنانية على التوقف عن أداء هذا الدور ، سواء بفرض الرقابة المسبقة أو بتفجيرها بشحنات الديناميت أو احتلال مكاتبها ومطابعها بالقوة المسلحة ، توقف الحوار الفكرى والايديولوجى والسياسى على صفحات الصحف ، وانطلق العنف المسلح فى الشوارع بالرصاص والقنابل ولم يتوقف حتى اليوم .

وبغياب حرية الصحافة فى لبنان اضطر عدد كبير من الصحف اللبنانية ان يتوقف عن الصدور ، فى حين بدأ عدد آخر من الصحف يشرع فى الهجرة من لبنان ، ولم يقتصر الأمر على الصحف والصحفيين اللبنانيين وحدهم ، وإنما هاجر معهم ايضا العديد من الصحف والصحفيين العرب الذين سبق أن لجأوا الى لبنان هربا من افتقاد الحريات الصحفية فى اقطارهم ! وهكذا فقد أدت الحرب الأهلية اللبنانية الى هجرة صحفية لبنانية وعربية إلى خارج الوطن العربى[٢] .

ومن أبرز الصحف اللبنانية المهاجرة مجلتى الدستور[٣] والحوادث[٤] ، وجريدة « الحياة »[٥] ، كذلك فقد اصدر عدد من الصحفيين اللبنانيين

المهاجرين صحفا عربية جديدة فى المهجر ، ومن ابرزها مجلات : « الوطن العربى »[٦] ، و« المستقبل »[٧] ، و« كل العرب »[٨] ، و« التضامن »[٩] ، و« الدولية »[١٠] . ولم تقتصر الهجرة كما سبق وذكرنا على الصحفيين اللبنانيين ، وإنما شملت ايضا اعدادا متزايدة من الصحفيين الذين ينتمون الى اقطار عربية اخرى ، فأصدر الصحفى السورى عبدالوهاب فتال جريدة « الشرق الجديد »[١١] واصدر السياسى السورى رفعت الاسد مجلة « الفرسان »[١٢] واصدر الصحفى المصرى محمود السعدنى مجلة « ٢٣ يوليو »[١٣] ، كما تم إعادة اصدار مجلة « الدعوة » لسان حال الاخوان المسلمين بمصر فى النمسا[١٤] .

وعندما تحول الفلسطينيون الى طرف رئيسى فى الصراع العربى - العربى ، واجهت الصحف الفلسطينية التى تصدر فى بعض الاقطار العربية العديد من الصعوبات والقيود ، ووجدت حالات كثيرة تم فيها اغلاق الصحف الفلسطينية فى الأردن وسوريا وليبيا ولبنان ، لذلك اختارت الصحافة الفلسطينية أن تصدر خارج الوطن العربى حتى لا تكون رهينة لأى نظام عربى يمنحها حق التعبير وقتما يشاء ويمنع عنها هذا الحق وقتما يشاء أيضا ، حسب درجة تأييد الفلسطينيين لتوجهات هذا النظام وسياساته ، لذلك غلب على هجرة الصحافة الفلسطينية ، طابع الهجرة الخارجية ، بحيث أصبحت غالبية الصحف الفلسطينية المهاجرة ، تصدر خارج الوطن العربى حيث تركز معظمها فى قبرص ، ووجد بعضها فى لندن وباريس ، ومن ابرز الصحف الفلسطينية المهاجرة ، جريدة « القدس » اليومية التى تصدر فى لندن ، ومجلة « اليوم السابع » التى تصدر فى باريس .

ويلاحظ ان أغلب الصحف العربية المهاجرة ، تصدر وعينها على الوطن العربى وقضاياه ومشكلاته ، لذلك فإن اغلب مادتها الصحفية تتناول شئون العالم العربى ، كما ان توزيعها يتم معظمه داخل الاقطار

العربية ، ويلاحظ ان توزيع هذه الصحف فى العالم العربى ، يرتبط بدرجة كبيرة على طبيعة علاقاتها بالانظمة العربية . حيث يسمح بتوزيع هذه الصحف ، أو منع توزيعها فى بلد عربى معين ، حسب المدى الذى تذهب إليه هذه الصحف فى تأييد أو معارضة سياسات هذا البلد وتوجهاته ، وبسبب الخلافات بين الانظمة العربية ، اتيح للصحف العربية المهاجرة ان تلعب دورا هاما فى السياسة العربية ، حيث تحولت بعض هذه الصحف الى أداة للدفاع عن سياسات بعض الأنظمة العربية ، وسلاح اعلامى تستخدمه تلك الانظمة فى معاركها السياسية مع غيرها من الأنظمة العربية المخالفة لها . وهكذا أصبحت الصحف العربية المهاجرة أسيرة لنفس النظم التى هاجرت هربا من سطوتها !

المجموعة الثالثة : وهى تضم ما سمى « الطبعات الدولية » لعدد من الصحف العربية المحلية ، مثال ذلك « الاهرام الدولى » و« القبس الدولى » و« النهار الدولى » ، وهذه الطبعات الخاصة من الصحف العربية موجهة بالأساس الى القراء العرب فى خارج الوطن العربى وإن كان بعضها يوزع فى بعض الاقطار العربية ، بل ان توزيع البعض منها داخل الوطن العربى يفوق كثيرا ما يوزع منه خارج الوطن العربى .

ويغلب على المادة الصحفية التى تقدمها هذه الطبعات الخاصة من الصحف العربية ، الاهتمام بالشئون المحلية للبلد الذى تصدر منه هذه الصحيفة ، أو ما يسمى بأخبار الوطن الأم ، ثم يلى ذلك الاهتمام بالشئون العربية العامة ، ثم الشئون الدولية ، وهكذا فإن الشئون الدولية تحتل المكانة الأخيرة فى اهتمامات تلك الصحف « الدولية » .

المجموعة الرابعة : وهى تضم الصحف التى اصدرها صحفيون عرب ، بتشجيع من حكوماتهم أو بعدم معارضة منها ، فى بعض العواصم الأوربية ، وذلك للاستفادة من الامكانات الصحفية المتطورة فى

الغرب ، أو للتحايل على بعض القوانين الصحفية المحلية التى تمنع الملكية الفردية فى الصحافة أو التى تحول دون انشاء صحف جديدة ، وبعض هذه الصحف ، سعت الى اصدارها فى خارج الوطن العربى انظمة عربية ظنا منها ان مجرد صدورها فى الخارج يعطيها طابع الحياد والموضوعية ، ومن ثم يجعلها وسيلة اعلام غير مباشرة عن سياسات هذه الانظمة ومواقفها .

ويندرج فى هذا اللون من الصحف مجلة « الطليعة العربية » ، ومجلة « المجالس العربية » و« مجلة الموقف العربى » وجريدة « الشرق الاوسط » ومجلتى « المجلة » و« سيدتى » وجريدة « المسلمون » .

المجموعة الخامسة : وهى تضم الصحف التى تصدر بلغات أجنبية فى بعض الدول العربية ، وتوزع بين الاجانب الذين يعيشون أو يعملون فى هذه الدول بالاضافة الى اعداد قليلة من المواطنين العرب الذين يجيدون اللغات الاجنبية التى تصدر بها تلك الصحف ، ولا تخلو دولة عربية من صحيفة أو اكثر تصدر بلغة اجنبية ، وهى ظاهرة تاريخية بدأت منذ العصر الاستعمارى ، حيث حرصت الدول الاستعمارية على اصدار صحف محلية فى الدول التى تحتلها بلغة الدولة المستعمرة لخدمة جنود الاحتلال والجاليات الاجنبية ، واكبر دليل على ذلك ان الصحافة نشأت فى الوطن العربى اجنبية ، وكانت أولى الصحف التى عرفها العالم العربى ، هما صحيفتى : بريد مصر Le Courrière de L'Egypte التى صدرت بالقاهرة فى ٢٩ أغسطس ١٧٩٨م ، و« العشرية المصرية » La Deca de Egyptienne والتى صدرت فى أول اكتوبر ١٧٩٨م ، وكان ذلك وقت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١م) .

ولنحاول الآن ان نطبق شروط ومواصفات الصحيفة الدولية على الصحف العربية التى تضمها المجموعات الصحفية الخمس السابقة

وقد سبق أن حددنا التعريف العلمى للصحيفة الدولية حيث يرتبط الطابع الدولى لصحيفة ما وبين انتشارها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول أو الأمم ، وقوة تأثيرها خارج الحدود الوطنية والقومية والنابعة من عمق المضمون وتنوعه واصدارها بلغة تسمح لها بالانتشار على النطاق العالمى أو اصدار طبعات منها بلغات متعددة ، وبذلك لابد من توافر ثلاثة شروط فى الصحيفة الدولية . الأول : انتشار توزيعها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول . والثانى : قوة التأثير خارج الحدود الوطنية والقومية وهى قوة نابعة من عمق المضمون وتنوعه . والثالث : الصدور بلغة تسمح بالانتشار على النطاق العالمى أو اصدار طبعات بلغات متعددة تسمح للصحيفة بالوصول الى قراء خارج نطاق حدودها الوطنية أو القومية .

ومن المهم ان نؤكد على ضرورة توافر الشروط الثلاثة مجتمعة فى الصحيفة الدولية ، بحيث اذا افتقدت الصحيفة أحد الشروط ، فقدت طابعها الدولى .

وبتطبيق الشروط الثلاثة على الصحف العربية التى تدعى لنفسها صفة الدولية ، نواجه بالحقائق التالية :

أولا : ان صحف الجاليات العربية فى المهجر ، ينحصر توزيعها داخل نطاق الدولة الاجنبية التى تصدر فيها ، ولا يقرأها سوى ابناء الجالية العربية بها ، وغالبا فإن مادتها الصحفية مقصورة على تلبية اهتمامات ابناء الجالية بشئونهم المحلية وببعض أنباء الوطن العربى أو الدولة الأم لابناء الجالية ، لذلك فإن هذه الصحف تفتقد لكافة شروط الصحيفة الدولية .

ثانيا : أن الصحف التى تنتمى الى المجموعات الثانية والثالثة والرابعة ، فهى جميعها تصدر باللغة العربية ، وانتشارها مقصور على

القراء العرب ، وتأثيرها محدود على قطر عربى بعينه ، وقد يمتد هذا التأثير الى اقطار عربية أخرى ، ولكنها فى كافة الحالات عديمة التأثير على القراء غير العرب فى الدول الاجنبية التى توزع فيها لأنهم بالطبع لا يقرأونها ، اذ لا تستطيع أى من هذه الصحف أن تدعى ان لها قراء يعتد بهم من ابناء الشعوب الأوربية أو الامريكية ، أو بين الشعوب غير العربية فى آسيا أو افريقيا . !

ولذلك فهى تفتقد جميعها للشروط الواجب توافرها فى الصحيفة الدولية .

ثالثا : أما المجموعة الخامسة والأخيرة ، وهى الصحف التى تصدر بلغات اجنبية فى بعض الاقطار العربية ، فهى أشبه بصحف المجموعة الأولى ، صحف الجاليات ، فتوزيعها محدود على ابناء الجاليات الاجنبية المقيمة أو الزائرة للبلد العربى الذى تصدر فيه ، ورغم ان بعضها قد يصدر بلغات دولية مثل الانجليزية أو الفرنسية إلا أن توزيعها غير دولى وكذلك تأثيرها ، وبذلك فهى تفتقد لشروط الصحيفة الدولية .

ونخلص من ذلك بأن العالم العربى يفتقد الصحافة العربية الدولية ، التى تصدر فى العالم العربى وتنتشر بين كافة شعوب العالم ، وهو أمر يعود بالدرجة الأولى الى كون اللغة العربية ليست لغة دولية كاللغة الانجليزية أو الفرنسية ، وأن هذا يرجع الى أسباب تاريخية وحضارية وسياسية ، ورغم تزايد نفوذ اللغة العربية فى ربع القرن الأخير واعتراف الكثير من المنظمات الدولية بها ، إلا أنها مازالت فى مجال وسائل الاعلام ، لغة غير دولية ، لا يقرأ بها سوى العرب واقلية نادرة من المستشرقين أو الدارسين أو المهتمين بالشئون العربية ، وهى قلة لا تشكل بأى حال جمهورا يعتد به فى مجال الصحافة الدولية .

واعتقد ان الطريق المتاح الآن لايجاد صحافة عربية دولية ، ان تعمل

الصحف العربية الكبرى والتى تتمتع بنفوذ واسع فى الوطن العربى ، أن تصدر طبعات باللغة الانجليزية أو الفرنسية ، ولكن هذا فى حد ذاته لا يكفى لأن تكتسب هذه الطبعات الانجليزية أو الفرنسية صفة « الصحافة الدولية » إلا اذا نجحت هذه الصحف فى تقديم خدمة صحفية قادرة على جذب القارىء غير العربى خارج حدود الوطن العربى ، وان تكون لهذه الصحف قدرة على التأثير تتخطى الحدود المحلية ، عبر الآفاق الواسعة فى المجتمع الدولى .

- ٢ -

وكالات الانباء العربية

يكاد يكون لكل دولة عربية ، وكالة انباء خاصة بها ، إذ يوجد بالعالم العربى ١٩ وكالة انباء عربية ، يقتصر نشاط اكثرها داخل الدولة التى تنتمى اليها ، وقد يمتد نشاط بعضها الى المنطقة العربية ، أما العدد القليل منها فهو الذى له نشاط فى بعض العواصم العالمية ، وخاصة فى الدول الغربية . وقد انشئت غالبية وكالات الانباء العربية فى الفترة التى تمتد ما بين الخمسينيات والسعبينيات ، فقد تم انشاء وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية فى عام ١٩٥٦ ، وتم انشاء وكالة الانباء المغربية ووكالة الانباء العراقية فى عام ١٩٥٩م ، وفى عام ١٩٦١م تم انشاء وكالات انباء لبنان والجزائر وتونس ، وانشئت وكالة الانباء الليبية فى عام ١٩٦٤ ، أما وكالة الانباء السورية ووكالة الانباء الأردنية فقد انشئتا فى عام ١٩٦٥م ، وانشئت وكالة انباء عدن فى عام ١٩٦٨ ، واليمن الشمالى فى عام ١٩٦٩م ، أما وكالة الانباء السعودية ووكالة الانباء السودانية فقد اقيمتا فى عام ١٩٧٠م ، وفى عام ١٩٧٥ أعلن عن قيام وكالة انباء قطر وموريتانيا وعمان ، وفى عام ١٩٧٦ تم انشاء وكالة انباء الامارات العربية المتحدة ، والبحرين والكويت ، وباستثناء عدد قليل من الوكالات العربية ، فإن اغلبها اقرب ما يكون الى المكاتب الاعلامية التابعة لوزارات الاعلام مباشرة ، والعنصر البشرى والامكانات المادية فى الكثير منها لا يسمح حتى بتكوين شبكة متكاملة من المكاتب المحلية ، وبعضها لا يزيد ما ينتجه يوميا على عشر نشرات مثل وكالة انباء موريتانيا ، وقد لا يزيد عدد العاملين فى بعض هذه الوكالات على ثلاثين محررا وصحفيا ومندوبا ، وهو الأمر الذى يدفع مثل هذه الوكالات الى الاعتماد على خدمات وكالات الانباء العالمية ، ليس فقط فيما يتعلق بالانباء الدولية

والعربية ، بل وأيضا بالانباء المحلية ذاتها ، فليس من الغريب ان تنقل بعض الوكالات العربية عن الوكالات الاجنبية احداثا تجرى فى محيطها الجغرافى والثقافى والوطنى[١٥] .

ان مجموع ميزانية وكالات الانباء العربية يقدر بنحو ٧٠ مليون دولار ، ويبلغ عدد مراسليها فى الخارج ١٠٦ مراسلين وعدد الصحفيين المحليين فيها يبلغ ٨٠٠ محرر ومندوب[١٦] ، وهذه الارقام تتضاءل كثيرا امام امكانيات أية وكالة انباء عالمية واحدة !

ومن الأمور التى تعوق النشاط الدولى بل والأقليمى والمحلى للعديد من وكالات الانباء العربية ، الارتباط الوثيق بين هذه الوكالات والسلطة السياسية فى بلادها ، حيث تخضع معظم الوكالات العربية للسيطرة الحكومية المباشرة . وعلى سبيل المثال فقد ظلت وكالة الانباء السودانية فترة طويلة من الوقت تابعة مباشرة لرئيس الجمهورية ، الذى قال فى زيارة له لمقر الوكالة « نحن وسونا نحكم السودان » ! وسونا هو الاختصار لاسم الوكالة باللغة الانجليزية SUNA ، فلم تكن الوكالة السودانية مجرد جهاز اعلامى لجمع ونقل الاخبار المحلية والخارجية كما جاء فى قانون انشائها ، ولكنها كانت جهاز معلومات ذات اهمية خاصة لأمن الدولة ، فأنشئت شبكة اتصالات للوكالة ربطت الاقاليم السودانية المختلفة من خلال جهاز لاسلكى وجهاز تلكس ، وقد استفادت الدولة بهذه الشبكة فكانت بعض السفارات السودانية فى الخارج ترسل تقاريرها لوزارة الخارجية عن طريق الوكالة ! وفى عام ١٩٨٥ ادخلت الوكالة نظام الفاكسميلى ، وكان الهدف من استخدامه نقل الاخبار والتقارير الأمنية والسياسية الى رئيس الجمهورية اثناء تواجده بالخارج ، وجرى استخدام الجهاز لأول مرة اثناء زيارة الرئيس السودانى السابق جعفر النميرى الى الولايات المتحدة الامريكية فى مارس ١٩٨٥م حيث كانت تنقل إليه

أخبار المظاهرات الشعبية التى أطاحت بنظامه فى ٥ أبريل ١٩٨٥م[١٧] !
وقد شهدت السنوات العشرة الأخيرة تطورا فى عدد من الوكالات العربية عن طريق زيادة امكانياتها البشرية والفنية واستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة ، وتعتبر وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية ، اكثر الوكالات العربية نشاطا فى المنطقة العربية وعلى المستوى الدولى ، فهى تقدم خدماتها لأكثر من ٤٠٠ مشترك فى الداخل والخارج ، وتبث يوميا حوالى ٢٠ ألف كلمة باللغة العربية ، و ٦٥٠٠ ألف كلمة باللغة الانجليزية ، وللوكالة مندوبون فى معظم العواصم العربية وعدد من العواصم الدولية الهامة خاصة فى بلجراد وبرلين ولندن وباريس وواشنطن .

وهناك وكالة الانباء السعودية التى تبث يوميا حوالى ١٥ ألف كلمة ويعمل بها ١٠٠ محرر ومراسل فى الداخل والخارج ولها مكاتب فى عدد من العواصم العربية والدولية ، وتوجد أيضا وكالة انباء المغرب العربى ، وهى تبث يوميا حوالى ٢٢ ألف كلمة باللغة العربية ، و ١٨ ألف كلمة باللغة الفرنسية لسبعين مشتركا فى المغرب وستين مشتركا فى الخارج ولها علاقات وثيقة بعدد من وكالات الانباء الافريقية .

ومع التطور الحاصل فى نشاط وامكانات وكالات الانباء العربية ، فإنها تظل عاجزة عن أداء الدور المأمول منها فى مجال الاعلام العربى الدولى ، فهى ماتزال تعتمد فى تغطيتها للعديد من الاحداث الدولية الهامة ، بل والعديد من الاحداث الاقليمية والمحلية على وكالات الانباء العالمية ، كذلك فإن وكالات الانباء العربية لا تشكل حتى الآن مصدرا من مصادر الانباء العربية التى تنشر فى وسائل الاعلام الاجنبية ، بسبب غلبة الطابع الرسمى على ما تبثه الى الخارج من انباء وتقارير ، ولعل اكبر دليل على ذلك ان احداث حرب الخليج التى تدور على أرض عربية ، فإن اكثر ما ينشر أو يذاع عنها فى وسائل اعلامنا العربية يعتمد على المصادر الاجنبية ، فهل نطمع والحال كذلك ان تعتمد وسائل الاعلام الاجنبية على المصادر العربية . . !

- ٣ -

الاذاعات العربية الدولية

ان اكثر من نصف الدول العربية تقريبا يقدم خدمات اذاعية موجهة الى مناطق خارج حدوده الوطنية ، واكثر هذه الخدمات يوجه الى مناطق فى العالم العربى ، وبعضها يوجه الى الشعوب الاسلامية فى الدول غير العربية ، وبعضها الآخر يسعى للوصول الى انحاء متفرقة فى العالم ، فى أفريقيا وآسيا وأوربا والامريكيتين .

ولقد بدأت مصر فى الاهتمام بالخدمات الاذاعية الموجهة فى فترة مبكرة بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م ، وهى تبث اليوم كما سبق وذكرنا ٤٣ خدمة خارجية باثنتين وثلاثين لغة إلى مختلف أنحاء العالم ، وبعدد ساعات يصل إلى حوالى ٤٠٠ ساعة أسبوعيا[١٨] .

وتقدم المملكة العربية السعودية خدمات اذاعية خارجية تصل الآن الى ٣٢ ساعة باثنتى عشرة لغة ، وبعضها يصل الى اوربا والولايات الامريكية[١٩] ، فى حين يوجه اغلبها الى المناطق التى تضم غالبية من المسلمين فى أفريقيا وآسيا ، ويغلب على هذه الخدمات طابع الدعوة الاسلامية .

أما الاذاعة السورية فهى تبث ١٢ ساعة يوميا باللغات الانجليزية والفرنسية والعبرية ، وهى موجهة الى اسرائيل والمغرب العربى ومناطق فى غرب أوربا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، ويقدم العراق خدمات اذاعية خارجية تصل الى سبع عشرة ساعة يوميا باللغات الكردية والفارسية والعربية والروسية والانجليزية والفرنسية والالمانية والأوردية ، وهى تخدم مناطق فى آسيا وغرب أوربا ، وتوجه تونس برامج خارجية تصل الى مائة ساعة اسبوعيا باللغة الفرنسية ، وتستهدف الوصول الى مناطق فى أفريقيا الفرنسية والبحر المتوسط وأوربا ، وهى تبث برامجها على

الموجة المتوسطة ، ويبث الأردن برامج موجهة بثلاث لغات اجنبية وهى الانجليزية والأسبانية والعبرية ، وهى تستهدف معظم الدول الأوربية والامريكتين وشمال أفريقيا ، ويبث السودان برامج اذاعية خارجية لمدة ثلاث ساعات يوميا بالانجليزية والصومالية بالاضافة الى ثمانى لغات ولهجات افريقية ، ويقدم الصومال خدمات اذاعية خارجية باللغات الايطالية والسواحلية والامهرية ، وهى موجهة الى المناطق المجاورة له فى شرق افريقيا .

والسؤال الآن : ما الدولى وما غير الدولى فى الخدمات الاذاعية العربية الخارجية ؟ ان اكتساب الطابع الدولى لخدمة اذاعية ما ، رهن بمدى انتشارها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول أو الأمم ، وقوة تأثيرها خارج الحدود الوطنية أو القومية والنابعة من قدرتها على تلبية الاحتياجات الاعلامية للمستمعين ، ثم تحدثها بلغة دولية تسمح لها بالانتشار على النطاق العالمى أو التحدث باللغات الوطنية لجمهور المستمعين ، فالاذاعة الدولية هى التى تصل خدمتها الى مختلف انحاء العالم حتى يسمعها معظم شعوب العالم[٢٠] ، وهناك من يوسع من حدود المفهوم ، بحيث تشمل الاذاعة الدولية كافة الخدمات الاذاعية التى يصل صوتها الى جماعة أو جماعات خارج حدود الدولة التى تقوم بالارسال[٢١] .

واذا تبنينا المفهوم الضيق للاذاعة الدولية ، فسوف نستبعد كافة الخدمات الاذاعية العربية الخارجية ، أما اذا تبنينا المفهوم الموسع ، فيمكن ادخال بعض الخدمات الاذاعية العربية الخارجية فى مجال الاذاعات الدولية ، وفى كلتا الحالتين ، فإننا نستبعد كل الخدمات الاذاعية العربية التى توجهها الدول العربية الى المنطقة العربية ، فهذه الخدمات رغم انها تتخطى الحدود السياسية للدولة العربية التى تبث الخدمة الاذاعية ، إلا أنها تظل محصورة داخل الحدود القومية للوطن

العربى ، فهى من هذه الناحية اذاعات قومية وليست اذاعات دولية . فإذا ما انتقلنا الى النوع الثانى من الخدمات الاذاعية العربية الخارجية ، وهى الخدمات التى تبث للشعوب الاسلامية فى الدول غير العربية ، سواء فى أفريقيا أو آسيا ، فيلاحظ ان هذه الخدمات تكاد تنحصر فى دولتين وهما مصر والمملكة العربية السعودية ، حيث تبث مصر اذاعة القرآن الكريم والتى يغطى ارسالها شمال أفريقيا والشرق الأوسط وغرب أوربا ، وتذاع على ١٥ موجة متوسطة وقصيرة ، وقد بلغت ساعات ارسالها إلى ٢٠ ساعة فى اليوم ، أما المملكة العربية السعودية فهى تبث اذاعة نداء الاسلام من مكة المكرمة لمدة أربع ساعات يوميا ، تزاد أيام الجمع وخلال شهر رمضان ، ويصل ارسالها الى كافة انحاء العالم ، والمملكة تبث ايضا اذاعة القرآن الكريم من الرياض لمدة ثمانى عشر ساعة يوميا ، ويصل ارسالها الى مناطق كثيرة فى آسيا وأفريقيا .

ورغم عدم وجود بحوث علمية تقيس حجم الاستماع وكثافته فى الدول التى تصل اليها هذه الخدمات الاذاعية ، فهناك العديد من الشواهد التى تؤكد فاعلية هذه الخدمات الاذاعية الدينية ، سواء فى ترحيب العديد من الدول الاسلامية بهذه الخدمات ، وحرص بعض هذه الدول على تنظيم اتفاقيات اعلامية ثنائية أو عبر منظمة اتحاد الاذاعات الاسلامية للاستفادة مما تبثه هذه الاذاعات من مواد اسلامية ، كذلك فإن رسائل المستمعين التى ترد من بعض الدول الاسلامية ، ومن الجمعيات والمنظمات الاسلامية فى هذه الدول ، والتى تطالب بزيادة ساعات الارسال وتقويته ، دليل آخر على مدى فاعلية هذه الاذاعات العربية الاسلامية ، والدور الهام الذى تقوم به فى مواجهة الاذاعات الدولية التبشيرية ، وكذلك أهميتها فى مجال الدعوة الاسلامية .

أما بالنسبة للخدمات الاذاعية العربية الموجهة الى الشعوب الاجنبية

غير المسلمة ، خاصة فى دول أوربا وامريكا الشمالية ، فمن الصعب تأكيد مدى فاعليتها ، فحقيقة الامر ان غالبية الخدمات الاذاعية التى تقدمها بعض الدول العربية باللغات الاجنبية لا تستهدف سوى الوصول الى المستمع الاجنبى الذى يعيش فى البلد العربى الذى تبث له هذه الخدمة ، ومن المشكوك فيه تماما وجود مستمعين اجانب للاذاعات العربية الموجهة الى الدول الاجنبية فى أوربا وأمريكا ، خاصة ان هذه الخدمات الاذاعية تعتبر من الناحية التقنية والفكرية متخلفة كثيرا بالمقارنة بالخدمات الاذاعية الوطنية فى معظم دول أوربا وامريكا الشمالية ، ويكفى لإدراك هذه الحقيقة ان العالم العربى لم يستطع حتى الآن ان يبث اذاعة عربية قومية (باستثناء إذاعة صوت العرب فى العهد الناصرى) تجمع حولها المستمعين العرب ، فى حين نجحت بعض الدول الغربية فى إقامة خدمات اذاعية باللغة العربية تمكنت من استقطاب الكثير من المستمعين العرب مثل الخدمة العربية لصوت امريكا ، واذاعة لندن العربية ، واذاعة مونت كارلو العربية ، ثم هل نتصور عقلا ان المستمع الأوربى أو الامريكى يترك اذاعاته الوطنية فى بريطانيا أو فرنسا أو المانيا أو الولايات المتحدة ، ليستمع الى الاذاعات الخارجية الموجهة إليه من السودان أو الصومال أو من عمان أو موريتانيا . . أو من دمشق أو بغداد ! ان المستمع العربى يقبل على الاذاعات الغربية الدولية مدفوعا باحساسه بالنقص الهائل فى الخدمات الاذاعية التى تقدمها محطته الوطنية أو القومية ، سواء كان هذاالنقص راجعا الى التخلف التقنى أو القيود السياسية ، فهل يعانى المستمع الغربى من عقدة نقص مشابهة حتى يهرب من اذاعاته الوطنية الى الاذاعات العربية الموجهة . . !!

- ٤ -

التليفزيون العربى الدولى

لم يتأخر العالم العربى كثيرا فى التعرف على الخدمة التليفزيونية ، فبعد أقل من عقد واحد على ظهور التليفزيون فى غرب أوربا والولايات المتحدة الامريكية ، بدأ الارسال التليفزيونى يعرف طريقه إلى العديد من الاقطار العربية ، وفيما بين منتصف الخمسينيات والسبعينيات ، أصبحت كافة الدول العربية تملك ارسالا تليفزيونيا منتظما ، وقد كانت البداية فى عام ١٩٥٦م عندما ادخلت العراق والجزائر الخدمة التليفزيونية ، وبدأ الارسال التليفزيونى فى لبنان عام ١٩٥٩ ، ثم دخل الى مصر وسوريا فى زمن الوحدة عام ١٩٦٠م . ثم توالى انشاء الخدمات التليفزيونية فى بقية الدول العربية ، فظهر التليفزيون فى الكويت والمغرب عام ١٩٦٢ ، وفى السودان عام ١٩٦٣ ، وفى عدن عام ١٩٦٤ ، ثم فى السعودية عام ١٩٦٥ ، وفى تونس ١٩٦٦ ، وفى الأردن وليبيا عام ١٩٦٨ ، وفى أبوظبى عام ١٩٦٩ ، وفى قطر عام ١٩٧٠ ، وفى البحرين عام ١٩٧٣ ، وفى سلطنة عمان عام ١٩٧٤ ، وفى صنعاء عام ١٩٧٥م .

وبمرور الوقت تزايدت اهمية التليفزيون فى العالم العربى بسبب ارتفاع نسبة الامية وانخفاض الدخل ، بحيث كاد التليفزيون ان يكون مصدرا وحيدا للثقافة والترفيه للملايين من المواطنين العرب ، وارتفعت اعداد أجهزة الاستقبال ، وزادت ساعات الارسال ، وكما هو الشأن فى معظم الدول النامية ، فقد اعتمدت الدول العربية فى ملء ساعات الارسال باستيراد البرامج من الخارج ، بحيث وصلت نسبة البرامج الاجنبية فى محطات التليفزيون العربية ما بين ٤٠ و ٦٠٪ من مجموع ما يقدم من ساعات الارسال ، واكثر الدول العربية بدأت البث التليفزيونى دون ان تملك مقومات الانتاج التليفزيونى المحلى مما اضطرها الى الاعتماد بالكامل

على استيراد البرامج الاجنبية . وقد حاولت بعض الدول العربية ان تقلل من استيراد البرامج عن طريق الانتاج المحلى ، ولكن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح بسبب عدم جودة الانتاج المحلى بالمقارنة بالانتاج الاجنبى ، بالاضافة إلى ان المستورد من البرامج التليفزيونية اقل تكلفة واكثر إبهارا وجاذبية لجمهور المشاهدين .

ورغم أن مصر تستورد حوالى ٢٠٪ من برامجها من الخارج ، إلا انها تمكنت بجهد ذاتى مدعم بتراثها التاريخى الطويل فى مجال الابداع الثقافى الفكرى والفنى من تحقيق قدر كبير من التقدم فى الانتاج التليفزيونى مما أتاح لها امكانية مد العديد من الدول العربية بكم معقول من الانتاج التليفزيونى الذى يناسب احتياجات المشاهد العربى ويراعى قيمه وتقاليده العربية والاسلامية .

كذلك أمكن عن طريق التعاون العربى المشترك تحقيق قدر معقول من الانتاج التليفزيونى خاصة من خلال اتحاد الاذاعات العربية وشبكة المغريفزيون التى تضم تونس والجزائر والمغرب وشبكة الخليجيفزيون التى تضم دول مجلس التعاون الخليجى وهى السعودية والكويت والبحرين وقطر والامارات وعمان ، كذلك فقد تحقق قدر كبير من التطور فى مجال انتاج الاخبار التليفزيونية وتبادلها بين الدول العربية ، وقد ساعد على ذلك انشاء الشبكة الفضائية العربية (عربسات) وانشاء شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية للشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط «MEDARBTEL» والذى من شأنه تزويد البلدان العربية بشبكة فعالة لخدمات المواصلات السلكية واللاسلكية بما فيها خدمات الراديو والتليفزيون ، بالاضافة الى انشاء الشبكة العربية لتبادل الاخبار التليفزيونية من خلال مركز التبادل الاخبارى والبرامجى العربى[٢٢] ، ويقلل من الاستفادة الكاملة من هذه الانجازات الاعلامية فى مجال

الخدمة التليفزيونية العربية التقلبات الدائمة فى العلاقات السياسية بين البلدان العربية ، بالاضافة الى القيود التى تضعها بعض الدول العربية على التبادل التليفزيونى العربى .

والجدير بالانتباه ، ان كافة صور التبادل التليفزيونى بين الدول العربية يدخل فى النطاق القومى ، ولا يتعداه الى المحيط الدولى ، فالعالم العربى يستورد الانتاج التليفزيونى الاجنبى ، ولا يصدر شيئا ، أى ان العالم العربى مجرد مستهلك للانتاج التليفزيونى الدولى ، وليست له أية مساهمات تذكر فى الانتاج التليفزيونى الدولى ، فالانتاج التليفزيونى العربى ، مخصص للاستهلاك المحلى أو القومى ، بل انه لا يكفى لهذا الاستهلاك وتضطر الدول العربية الى استيراد ما يغطى ساعات الارسال التليفزيونى بها ، وبذلك يتضح ان الانتاج التليفزيونى العربى ، يعتبر فى الغالب الاعم انتاجا محليا ، والقليل منه ذو طابع قومى ، فى حين يفتقد تماما أى بعد دولى . . !

ونخلص من ذلك كله الى القول بأن العالم العربى ، رغم امكانياته البشرية والمادية وموقعه الاستراتيجى مازال يفتقد الى وجود اعلام عربى جماهيرى دولى ، وانه فى مجال الاعلام الدولى ، مجرد مستهلك يعيش على ما يستورده من الانتاج الاعلامى الاجنبى . !

واذا كان العالم العربى يشترك فى هذا الوضع مع كافة دول العالم الثالث التى تعانى من التبعية الاعلامية للدول الصناعية المتقدمة ، فإن العالم العربى بما يملكه من امكانيات ، مؤهل اكثر من غيره من الشعوب والأمم لاختراق حصار التبعية الاعلامية وتحقيق استقلاله الاعلامى ، وذلك فى عصر أصبح فيه الاستقلال الاعلامى شرط لتحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى !

الهـــوامش

(١) طرازى . فيليب دى : تاريخ الصحافة العربية ـ الجزء الأول . (المطبعة الأدبية) بيروت ـ ١٩١٣ ـ ص ٥٥ .

(٢) أبوزيد . فاروق : الصحافة العربية المهاجرة (مكتبة مدبولى) . القاهرة ـ ١٩٨٥ ـ ص ٣٢٤ ـ ٣٣٣ .

(٣) مجلة الدستور : أســسها فى لبنان خليل أبوجودة فى عام ١٩٢٧ ، وصدرت اسبوعية سياسية وقد انتقلت ملكيتها الى عدة اشخاص حتى انتهت قبيل الحرب الأهلية الى الصحفى اللبنانى على بلوط ، وقد تحولت المجلة الى تأييد النظام العراقى واضطرت الى الهجرة الى لندن بعد دخول الجيش الســورى الى لبنان ، ويسيطر عليها فرع حزب البعث العراقى بالسودان ، ويرأس تحريرها خلدون الشمعة .

(٤) مجلة الحوادث : صدرت فى مدينة طرابلس عام ١٩١١م ، وكان يملكها لطف الله خلاط ، ثم انتقلت ملكيتها فى عام ١٩٥٦م إلى سليم اللوزى وتولى رئاسة تحريرها فى الوقت نفسه ، واضطرت المجلة الى الهجرة الى لندن فى عام ١٩٧٨ بعد تعرضها للعديد من الاعتداءات المسلحة ، وفى فبراير ١٩٨٠ اختطف مسلحون مجهولون اللوزى وهو فى طريقه الى مطار بيروت مغادرا لبنان بعد ان حضر جنازة أمه ، وبعد تسعة ايام من اختطافه وجد مقتولا وبجثته آثار تعذيب شديد ، وبعد مصرع اللوزى بفترة انتقلت ملكية الحوادث الى كرم ملحم كرم ومازالت تصدر من لندن .

(٥) جريدة الحياة : اصدرها فى ٢٨ يناير ١٩٤٦ كامل مروة ، وغلب عليها الاتجاه اليمينى ، وكانت تؤيد حزب الاحرار وكميل شمعون اثناء احداث عام ١٩٥٨ ، واثناء الحرب الاهلية فى عام ١٩٧٥ تعرضت لعدة اعتداءات وقد هاجرت اخيرا الى لندن ، حيث يرأس تحريرها جهاد الخازن .

(٦) مجلة الوطن العربى : صدرت فى باريس فى فبراير ١٩٧٧ وأســسها وليد أبوظهر وهو صحفى وناشر لبنانى كان يشترك مع شقيقه هشام أبوظهر فى اصدار جريدة المحرر اليومية فى بيروت ، وقد اضطر وليد الى الهجرة الى فرنسا بعدما تعرض مبنى جريدة المحرر فى بيروت الى هجوم مسلح وأضرمت فيه النار فقتل مدير تحريرها واصيب عدد من محرريها وعمالها وموظفيها ، ثم قامت قوات الردع الســورية باحتلال مبنى الجريدة واستولت على كل ما فيها وحطمت جميع التجهيزات والآلات ، وقد أيدت مجلة الوطن العربى النظام العراقى ، وإن بدأت تغير من تأييدها له فى العام الأخير .

(٧) مجلة المستقبل : اسبوعية سياسية ، صدرت فى باريس فى فبراير ١٩٧٧م ويرأس تحريرها نبيل الخورى ، وهى تحاول ان تخط طريقا مستقلا بين الانظمة العربية .

(٨) مجلة كل العرب : صدرت فى باريس فى أول سبتمبر ١٩٨٢م ويرأس تحريرها ياسر هوارى ، وقد بدأت معتدلة ثم انحازت الى تأييد النظام العراقى .

(٩) مجلة التضامن : صدرت فى لندن عام ١٩٨٢م ويرأس تحريرها الصحفى اللبنانى فؤاد مطر ، وقد بدأت مستقلة ثم انحازت الى النظام العراقى .

(١٠) مجلة الدولية : يصدرها انطوان نوفل من باريس ، وكان يعمل مديرا للاخبار باذاعة مونت كارلو العربية ، وهى مجلة معتدلة .

(١١) جريدة الشرق الجديد : وهى جريدة فى حجم مجلة ، وأســسها فى لندن الصحفى الســورى عبدالوهاب فتال فى يناير ١٩٧٣م ، وهى جريدة انتقادية يغلب عليها طابع الرأى وقد خاضت معارك مع معظم الانظمة العربية بما فيها النظام الســورى نفسه ، وإن كانت أخيرا تميل الى تأييد المواقف الســورية .

(١٢) مجلة الفرسان : تصدر من باريس ويشرف على اصدارها الدكتور رفعت الأسد شقيق الرئيس الســورى حافظ الأسد ونائب رئيس الجمهورية السابق فى سوريا ، وهى تميل الى الدفاع عن السياسات والمواقف العربية الســورية .

(١٣) مجلة ٢٣ يوليو : أصدرها الصحفى المصرى محمود السعدنى فى لندن ، وكانت مجلة معارضة للرئيس المصرى السابق أنور السادات ، وقد رأس مجلس إدارتها نور السيد وهو نفسه محمود نور الدين المتهم الأول فى قضية تنظيم ثورة مصر المتهم بالإعتداء على عدد من الدبلوماسيين الامريكيين والاسرائيليين فى القاهرة ، وقد شارك فى تحرير المجلة عدد من الكتاب والصحفيين المصريين مثل الفريد فرج وفتحى خليل وبكر الشرقاوى وعبدالحكيم قاسم وجمال اسماعيل ومحمد محفوظ بالاضافة الى الرسامين صلاح الليثى وجورج البهجورى ، وقد توقفت المجلة بعد ان اكملت اصدار ٤٥ عددا لعدم وجود التمويل الكافى لاستمرار المجلة .

(١٤) مجلة الدعوة : صدرت مجلة الدعوة عام ١٩٥١م كمجلة « اسبوعية » ويملك امتيازها صالح عشماوى ويرأس تحريرها فى الوقت نفسه ، ثم توقفت المجلة فى عام ١٩٥٤م ، ثم عادت الى الصدور فى عام ١٩٧٦ كمجلة شهرية تعبر عن حركة الاخوان المسلمين ، ثم توقفت بعد احداث ٥ سبتمبر ١٩٨١ ، وهاجرت بعدها الى الخارج وأصبحت تصدر عن المركز الاسلامى بالنمسا ، وتعبر عن التنظيم العالمى للاخوان المسلمين ، وذلك فى نهاية عام ١٩٨١م .

(١٥) المصمودى . مصطفى : النظام الاعلامى الجديد : « عالم الفكر » - الكويت - ١٩٨٥ .

(١٦) عبداللطيف . صلاح : دور وكالات الانباء الاقليمية ومجمع وكالات انباء دول عدم الانحياز فى تحقيق التوازن الاخبارى العالمى - رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية الاعلام - جامعة القاهرة) ١٩٨٨ - ص ١٥٧ .

(١٧) المصدر السابق - ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(١٨) الحلوانى ، ماجى ، العبد ، عاطف : الانظمة الاذاعية فى الدول العربية - (دار الفكر العربى) - القاهرة - ١٩٨٧ - ص ٤٧٧ - ٤٨٢ .

اتحاد الاذاعة والتليفزيون : الاذاعات الموجهة من القاهرة ، القاهرة - ١٩٩١ - ص ١

(١٩) عبدالحميد . محمد : وسائل الاتصال الادارى (العبيكان للطباعة والنشر) الرياض - ١٩٨٨ - ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢٠) الحلوانى . ماجى : مدخل الى الاذاعات الموجهة (دار الفكر العربى) - القاهرة - ١٩٨٣ - ص ١٤ - ١٥ .

(٢١) رشتى . جيهان : الاعلام الدولى بالراديو والتليفزيون - (دار الفكر العربى) القاهرة - ١٩٧٩ - ص ٣ - ٤ .

(٢٢) العبد . عاطف : تبادل الاخبار التليفزيونية العربية . (دار المانى للطباعة) - القاهرة - ١٩٨٩ - ص ٨٩ .